

ما هذا العقوق يا جيوش المسلمين!؟

روى أحد الأشخاص قصة حدثت معه، وقال: بينما كان على شاطئ البحر مع عائلته وأراد العودة إلى منزله صادف امرأة كبيرة في السن، حيث كانت تجلس لساعات طويلة على الكرسي بالقرب من الشاطئ، فبدأ ينظر لها ولم يأت أحد إليها، وعندما تأخر الوقت ذهب إليها وسألها من تنتظرين يا أمي؟ فقالت: أنتظر ولدي ذهب إلى المتجر المقابل وسيأتي بعد قليل، فشك في أمرها لأنها بقيت وقتاً طويلاً وقد تأخر الوقت، فانتظر ساعة كاملة ولم يأت أحد لأخذها، وقال الرجل في نفسه لا أظن أن أحداً سيأتي بعد هذا الوقت ليأخذها، فذهب إليها مرة أخرى وقالت: سيأتي ولدي بعد قليل، وهو يتحدث معها فنظر فإذا ورقة بجانب هذه المرأة، فقال لها: لو سمحت ما هذه الورقة؟ فقالت له: لقد ترك ولدي هذه الورقة وأخبرني أن أعطيها لأي أحد يأتي، فأخذها وفتحها، وتفاجأ بما في داخلها، فسألته المرأة ماذا يكتب يا ولدي؟ فقال لها مكتوب فيها: إلى من يجد هذه المرأة الرجاء أن يأخذها إلى دار العجزة. اندهشت المرأة وبكت، فقد انكسر قلبها فهي من تعبت لتربية أبنائها وفي النهاية تركوها لوحدها، فهل هذا جزاء تعبها وتضحيتها؟!؟

إنه العقوق بأشكاله وأنواعه، والعقوق كلمة تحوي الكثير من الصفات السيئة والمقيبة، فالعقوق ظلم وخيانة وعدم وفاء وجحود وخسة وعدم احترام لمن ربك وركاك وسهر على راحتك وطمأنينتك وسلامتك ليل نهار دونما أجر أو مقابل. ولذا كان العقوق من كبائر الذنوب وأعظمها، واستحق العاق لوالديه أبشع أنواع العذاب والتنكيل، فبئس الفعل والفاعل.

ولكن ماذا عن الجيوش التي تعق أمتهما؟ أليست الجيوش هي من أبناء الأمة؟ أليست الأمة هي أم لهذه الجيوش؟ ألم يترب هؤلاء الجنود ويكبروا ويتعرعروا على مصادر هذه الأمة وشربوا من حليبها ومائها؟ ألم ينهلوا من مصادرها وثرواتها وخيراتها؟ ألم تمنحهم أمتهم الأرض والطعام والشراب والممتلكات والخيرات وأمنتهم على نفسها وأرضها وشرفها وعرضها ومقدساتها وحرمتها؟

ولكن أين الوفاء وردّ الجميل؟ ما هذا العقوق يا جيوش المسلمين؟ ألم تحتجكم أمتهم منذ مئة عام لتحرير فلسطين؟ ألم تحتجكم لاستعادة خلافتها؟ ألم تحتجكم للذود عن الحبيب المصطفى لما أساءت دول أوروبا له؟ ألم تحتجكم لما غزا المستعمرون الأمريكيان والإنجليز وغيرها أفغانستان والعراق؟ ألم تحتجكم لنصرة البوسنة والصومال؟ ألم تحتجكم لنصرة أهلنا في الشام؟ أليست قد تركتموها كما ترك ذلك الولد العاق أمه عند الشاطئ؟ ألم تتخلوا عن جنين والقدس وغزة مرارا وتكرارا؟ وما أنتم تتخلون عن نصرته كتاب الله الكريم وتتركونه ليدنسه السويديون والديمقراطيون. أي عقوق هذا وأي تحاذل هذا وأية خيانة هذه لله ولرسوله ولأمة الإسلام!؟

أليست البلاد والجيوش والمصادر والثروات هي ملك الأمة؟ أليست فلسطين والشام والعراق والمغرب واليمن والحجاز وكل بلاد المسلمين التي فتحها المسلمون، أليست هي كلها ملكا للأمة الإسلامية؟ أم هي ملك للحكام والملوك والوزراء؟ هل تحولت الجيوش من حماية ونصرة أمتهم ودينهم وبلادهم وثرواتهم ومقدساتهم إلى حماية ونصرة

الحكام الذين سلبوا الأمة سلطاتها وملكها وثرواتها؟ أليس هذا بالعقوق والفجور؟ أليس الوقوف مع الذين يعذبون ويسومون الأمة سوء العذاب ويخذلونها عقوقاً؟ ألا تفعل الجيوش ذلك؟ ألا تحمي الظلمة والمنافقين حكام المسلمين؟ ألم يتحول دورها من خدمة الأمة والسهر على راحتها وأمانها وطمأنينتها وحماتها وحماية ثرواتها إلى السهر على راحة وطمأنينة أولئك الحكام العملاء؟

أي عقوق هذا يا جيوش المسلمين؟ وأية خيانة ترتكبونها بصمتكم وبقائكم راضين في ثكناتكم والأمة تعاني الأمرين من الذل والقهر تحت حكم الخونة العملاء؟ أليس فيكم ضابط رشيد؟ أليس فيكم جنرال عزيز؟ أليس فيكم لواء سديد؟ أم أن البطولات تركت لبعض الجنود الأبطال أمثال محمد صلاح، الذي تسلل بنفسه لكيان يهود وقتل جنودهم وصدع أمنهم ونغص عيشهم وارتقى شهيدا إلى جنات النعيم؟!

إن هذا كله ليس تحريضا لاستعداد الجيوش ونبذها، فالأمة كالأم لا تنبذ أبناءها ولو أساؤوا لها، إنما هو تذكير للجيوش بدورها المهم وهو حماية أهمهم الحقيقية - الأمة الإسلامية - ونبذ الخونة والعملاء حكام المسلمين الذين هم أيدي وأذرع المستعمرين للنيل من أمتنا، إنها دعوة لجيوش المسلمين لنبذ من باع فلسطين، إنها دعوة لهم لترك الولاء لأعداء الله وموالاته الله ورسوله وأمة الإسلام. إنها دعوة لهم ليكونوا مثل سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن لوفاته، ودعوة لهم ليحشروا يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، إنها دعوة ليكونوا مع خالد بن الوليد وصلاح الدين، وقطرز وبيبرس وألب أرسلان وأرطغرل وعثمان ومحمد الفاتح والفاحين العظام.

فالله الله في أنفسكم يا جيوش المسلمين، الله الله في أنفسكم أيها الجنرالات ويا قادات الأولوية ويا أيها الضباط، ها هي أمتكم تدعوكم لنصرتها وحماتها، وها هي بلاد المسلمين المحتلة تنتظركم، وها هي الحرائر في سجون بشار يستصرخنكم، وها هي فلسطين والمسجد الأقصى ينتظرونكم، فانفضوا غبار الذل عن أكتافكم، وعودوا لأمتكم، واعصوا حكامكم، وبايعوا خليفتمكم، وتحركوا معه ومن ورائه لعز الدارين.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَعَلِمُوا أَنَّهَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِئْتَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

كتبه لإذاعة المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

د. فرج ممدوح